

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي أسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

WWW.almadasupplements.com

العدد (4556) السنة السابعة عشرة - الأربعاء (27) تشرين الثاني 2019

ابو القاسم الشابي

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

أبو القاسم الشابي

شاعر بحجم الثورة

ارتفع منسوب شهرة الشاعر التونسي الشابي مع الثورة التونسية التي اندلعت في ديسمبر ٢٠١٠. وانتقلت شاراتها سريعا الى البلدان العربية من المحيط الى الخليج في ما سمي اعلاميا بالربيع العربي حيث عمّت الاحتجاجات الشعبية الشوارع والساحات وهتف الجميع بـ (الشعب يريد اسقاط النظام) كرد فعل قوي على الركود الاقتصادي وتفاقم الفساد على جميع الأصعدة.. وطفا اسم الشابي على الساحة الثقافية وساحة الثوار على حد سواء حيث رددت حناجر المحتجين في تونس ومصر والمغرب وبلدان أخرى قصيدته الشهيرة (إذا الشعب يوما أراد الحياة/ فلا بد أن يستجيب القدر /و لا بد ليلا أن ينجلي / ولا بد للقيد أن ينكسر/ ومن لم يعانقه شوق الحياة/ تبخر في جوها واندثر)، لتسطع القضية في القصيدة العربية مؤقّتا على الأقل. في الوقت الذي كتبت عن الشاعر عشرات المقالات المطولة في الصحف العربية. وتقاسم آخرون أشعاره في مواقع التواصل الاجتماعي وغدا الشابي في ظرف وجيز من أكثر شعراء العرب الموضوعة أسماؤهم في محرك غوغل.

حسن بولهويش

كاتب مغربي

شهرة الشابي ونبوغ اسمه في هذه الفترة أساط اللثام عن جانب أساسي في شعره وهو الجانب الثوري الذي لم يحظ بالمساحة الكافية في بعض الاهتمامات النقدية التي قدمت شعره الى طلاب الثانويات والجامعات على أنه وجداني يمتح من الذات ويبيم في اجزاء الطبيعة. ولا يحدد كثيرا عن المعالم الكبرى للرومانطيقية العربية خصوصا تجربة جبران خليل جبران. ومن المحجف نقديا أن نحصر المشروع الشعري للشابي في هذه الزاوية فقط . وان كانت هي القوية. فلايد من قراءة متكاملة ترصد التحول المتنامي الذي طال التعبير الشعري لدى أبي القاسم خلال سبع سنوات والتي أنتج فيها ديوانا شعريا اسمه «الطبايع» والحياة». وذلك بعد حياة قصيرة وغير مستقرة ومؤلمة أحيانا حيث مات في سن الخامسة والعشرين عام ١٩٣٤ بعد معاناة مريرة مع مرض في القلب فشل الأطباء في علاجه. وفشل الشاعر في مداراته بالصائد والطموح..

حياة شاعر الخضراء، وهذا هو لقبه، بدأت عام ١٩٠٩ بمدينة توزر التونسية حيث ولد في أب اشتغل قاضيا وتنقل بحكم الوظيفة في الكثير من مدن البلاد مما أفاد الطفل النحيل أبا القاسم في التعرف على جغرافيا متنوعة والوقوف على سحر الطبيعة بتناقضاتها الجميلة. وسجل ذلك في قصائد تفصح عن قوتها من خلال العناوين التالية: «أنشودة الرعد» «منجاة عصفور»، «رثاء فجر»، «من أغاني الرعاة»، «الغاب».، وهي قصائد صور فيها الطبيعة بصديق منناه ومرج بين عناصرها وهزات الذات في المتعطفات الصعبة لدرجة تغدو، أحيانا، هذه



قدر كبير من التضح دونما عناء. وحتى حين نتابع، من حين لآخر، الملفات الثقافية التي يتحدث فيها الشعراء والمبدعون عن طقوس الكتابة.. نقول أن الشابي لم يكن يستنزل الشعر استنزالا ولا جلس يوما يتوسل اليه بطقوس معينة (كان الشعر يفرض عليه ويهاجمه ويمنعه من الراحة والنوم... فيصوغ القصيدة بيتا بيتا في الليل... ثم ينام مطمئنا... حتى إذا استيقظ في الصباح وجدها على طرف لسانه وينسخها عن ذاكرته والعجيب أنه إذا نسي سطرا فلم يكن يرضى أبدا أن يعوضه وكان يفضل أن تظل القصيدة بتراء) ، يقول عنه صديقه زين الشايبين التونسي.

وبالإضافة الى تجربة المرض المريرة التي عاشها الشاعر. فقد اكتوى بألم الغياب والفقدان على نحو فاجع وأحس الموت في أقرب الناس اليه. وهذه هي مأساة الشابي الكبرى . حيث ماتت الغاة التي خلق قلبه في سن التاسعة. والتحق بجامع الزيتونة في تونس العاصمة وتخرج منها بعد أن نهل من علوم اللغة والفقه والتشريعة. وانتسب لاحقا الى كلية الحقوق وتخرج منها. واستوعب التراث العربي القديم وافتتح على الأدب الحديث في المشرق. وتأثر بكتابات المهجريين. واطلع على روائع الأدب الاوروبي من خلال الترجمة. محطات علمية وثقافية كبرى مر منها الشابي سريعا وكتب قصائده الأولى على

ينشد الحب في البراري وكتب قصيدته الرائعة «صلوات في هيكل الحب» والتي وحدها تحتاج لدراسة مستفيضة للوقوف على ملامح التحضر التي وسمت حياة الشابي.

ولا يخرج عن هذا المنحني، منحني الرفض والتمرد، كتابه النقدي «الخيال الشعري عند العرب.» الذي هو في الأصل محاضرة ألقاها الشابي بفضاء الخلدونية عام ١٩٢٩، تناول فيها مضامين الخيال في ذاكرة التراث الشعري عند العرب. وانتقد بشدة انتاج الشعر العربي في مختلف عصوره. وأقر أنه مادي ويفقر الى الخيال ولا يستشرف المستقبل في شيء. مما أثار جدلا واسعاً في تونس والمشرق وتحمل الشابي نقدا لاذعا.. والكتاب في مجمله مادة قيمة في المدونة النقدية باعتباره يتناول بجرأة أحد أهم الموضوعات التي استأثرت اهتمام العرب وفضول النقاد على مر العصور.

وتحرر الشابي من الصمت بخصوص قضايا الوطن فكتب قصيدته «تونس الجميلة» يقول (لست أبكي لعسف ليل طويل / أو لربع غدا العفاء مراحه / أنما عبرتني لخطب ثقيل / قد عرانا ولم نجد من أزاحه) .. ثم توجه الى شعبه المحجور في قصيدة «سر النهوض» (لا ينهض الشعب الا حين يفعله /عزم الحياة اذا ما استيقظت فيه /و الحب يخترق الغبراء مندفعاً /الى السماء اذا هبت تناديه / والقيد يألغه الأموات ما لبثوا / أما الحياة فبيلبها وتبليه) .. وعاد يلوم شعبه بقسوة في قصيدة «الى الشعب» (يا الهي ! أما تحس ؟أما تشدو؟ / أما تشنتكي ؟أما تتكلم / مل نهر الزمان أيامك المتى) /وأفاض عمرك المتهدم) .. و«الى حماة الدين» يقول (سكنتم حماسة الدين سكتة واجم / ونتمتع بملء الجفن والسيل داهم) .بالإضافة، طبعاً، الى قصيدة الشهيرة «ارادة الحياة» التي استخدمت آبياتاً منها في النشيد الوطني التونسي..

لقد نوع أبو القاسم القوافي والبحور، لكن خاب أمره في شعبه المحجور ويئس من سكوت أهل العلم في فترة ما بين الحرب العالمية الأولى والثانية . فخرج محارب الصحراء يتكفل بالمهمة الصعبة بصدر مكشوف. ويقصائد أشبه بالبيانات العسكرية الأخيرة.. ففي قصيدة «الى طاعة العالم» يقول (ألا أيها الظالم المستبد / حبيب الصبح/ ففي الأفق الربح هول الظلام /وقصف الرعود وعصف الرياح). وفي قصيدة أخرى بعنوان أشبه بالبيانية، يقول (لك الويل يا صرح المظالم من غد / اذا نهض المستضعفون وصموا / اذا حطم المستعبدون قيودهم / وصوبا السخط أيان تعلم).

من الصعب أن نجزم استمرار الأجيال الجديدة في تذوق القصيدة العربية في مختلف عصورها والانتصار نقديا لها. لكن قدرة الكبار على التمتع في قلب التاريخ والوجدان الشعبي ستستمر باستمرار البشرية. والشابي واحد من الكبار.
عن: الحوار المتمدن

وقد تعددت المقاربات والمشاريع والدراسات التي تنسرح أنظمة خلايا الدماغ العربي من جهة المعرفة إلى برهان وبيان وعرافان ومن جهة الوجود إلى أعيان وأذهان وأسماء ومن جهة السياسة إلى عقيدة وغنيمة وقبيلة ومن جهة الأخلاق إلى طاعة وسعادة ومروءة. ولقد نادى بعض المفكرين بإحداث قطيعة معرفية وتحول أنطولوجي من أجل الشروع في التحديث والعصرية ونادى كتاب آخرون بالحدأة الشعرية والعودة الثقافية واكتفى قلة من الساسة بالمطالبة بالإصلاح السياسي والدخول في المنعطف الديمقراطي.

غير أن الصيرة المقضنة تداهم الفكر والاستغراب يخامره ويتيه في فوضى المفاهيم نقد النقد ويغطس الفهم في طبقات التفاسير وسجال التأويل وتغيب عنه استراتيجية التسمية ويغفل عن دروب التعقل والحكمة. لكنه ينتبه إلى أن البحث عن الإصلاح بالشعر والتلويح بالثورة بالكلمة والتحريض على الحياة بالقصيدة لم يكن وليد اللحظة الراهنة فحسب وشغل كتاب هذا الزمان المعول بل تضرب جذوره في الماضي القريب كان من اهتمام الشعراء

والأدباء الذين ارتبطت تجاربهم ولمحاتهم بمقاومة الاستعمار ومحاربة الجهل.
لعل أبو القاسم الشابي (١٩٠٩–١٩٣٤) هو واحد من هؤلاء المبدعين الذين شأؤوا ولا ينصرفوا من الحياة دون أن يخلدوا بأعمالهم البطولية ودون أن ينكرهم التاريخ. لقد أصبح شاعر الجريد والخضراء أحد القمم الشعرية العربية التي بحثت في الروح العربية من جهة طبيعتها الخاصة ومؤثراتها ومنتجاتها ودرس ذهن العربي والمزاج العربي والعقل العربي والنفسية العربية.

إن الأمر لم يقتصر على تضمين ذلك في قصائده وأشعاره وخاصة أغاني الحياة بل في مؤلفه البديع «الخيال الشعري عند العرب» الذي ألقى في شكل محاضرة بقاعة الخلدونية عام ١٩٢٩ والذي مازال في حاجة أكيدة إلى المزيد من التعميـص والتقيب والبحث قصد استخراج درره للامة وكنوزه المخفية.

إن رهان الشابي الأول في هذا النص ليس مجرد الجمع بين الانتماء للوطن والدفاع عن الأمة وذلك بضبط العلاقة بين الشعر والسياسة ولا التخليـر

العدد (4556) السنة السابعة عشرة - الأربعاء (27) تشرين الثاني 2019

أبو القاسم الشابي بين الوطن والأمة

"لا خير في أمة عارية تكتم فقرها ولا خير في شعب جائع يظهر الشيع وشر من كل ذلك أمة تقتني أبوابها من مغاور الموت ثم تخرج في نور النهار متبجحة بما تلبس من أكفان الموتى وأكسية القبور."
كثر الحديث هذه الأيام عن الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي في ذكرى مرور قرن على ولادته وتجادل الناس حول منزلته وآثاره ومخلفاته وما أحدثه من تأثير في الثقافة العربية. وقد أُلّف في الغرض عدة كتب ونظمت عدة مسابقات وتوج بالمناسبة عدة نقاد وباحثين. ودار الكلام حول الشعر والنثر والعقل العربي والهوية والأمة والملة من جهة التكوين والبنية والطباع والمقومات والمؤثرات والمنتجات.

زهير الخويلدي

قلب الحياة... أما من يعبد أمسه وينسى غده فهو من أبناء الموت وأنشاء القبور الساخرة.

وواضح هنا أن الشابي يحسم أمره بشأن الصراع بين أنصار التقليد واستنساخ الماضي وتقديس الميراث من جهة وأنصار التجديد واستشراف المستقبل وينتصر إلى المعسكر الثاني على حساب المعسكر الأول. ويفسر الشابي وقوع العرب بين برائن التقليد بعوامل الوراثة وهيمنة الفكرة الدينية في فهم الألب وعدم اطلاع العرب في العصور الماضية على آداب الأمم الأخرى ولتجاوز هذه الحالة من الانحطاط يعترف بأن العرب قد خاضوا غمار الخلق والإبداع وبلغوا الأفاق في المجالات الثلاثة التالية وهي الشعر القصصي والشعر السياسي والشعر الطليعي ويذكر الأسلوب الأندلسي على سبيل المثال.

لئن اهتم الشابي بالخيال من جهة النشأة والمعنى وبحث في ظروف إنقسامه وأنواعه وربط بين الخيال الفني والصناعي من ناحية والخيال الشعري والرمز من ناحية أخرى فإنه اهتمدى براعة إلى الأيقونات الأربعة وهي الأسطورة والطبيعة والمرأة والقصص وعدها المكونات المضمونية للخيال الشعري عند العرب وحدد الروح العربية بثلاثة خصائص مميزة وهي: الخطابية من جهة الطابع وشبوع النزعة المادية من جهة العامل والإكثار من الترحال من جهة المؤثرات ، وأكد أن الأدب العربي ينفرد بأسلوبه وروحه ومعناه عن آداب الأمم الأخرى.

الالفت للنظر أن الشابي يؤرخ لأربعة أنوار للآدب العربي وهي الدور الجاهلي والدور الأموي والدور العباسي والدور الأندلسي ويميز الدورين الأخيرين ببروز الشعر الطبيعي ولكنه يحرص على تحديد مفهوم الأدب على النحو التالي:

١- الأدب هو صوت الحياة الذي يهب الإنسانية العزاء والأمل ويرافقها في رحلتها المضنية المتعسفة في صحراء الزمن.

٢- الأدب هو المعزف الحساس الذي توقع عليه البشرية مراثيها الباكية في ظلمة الليل وأناشيدها الفرحة في نور النهار.

من هذا المنطلق نراه يستشهد بديك ونسي القائل: " أن الأدب البدي لا يعيب من غيره لايد أن يدركه الهلك ويفنى . كما أنه يعتبر شعراء العربية "لهم روح قوية مضطربة شاعرة تنظر الى الطبيعة كلها ككائن حي يتزرم بوحى السماء فيفبر في حنايا النفوس ما تتبره أنات القيشارة في يد الفنان الماهر من هواجس الفكر وسواجي الشعور، هذه الروح البقطة التي تحس بما في قلب الطبيعة من نبض خافق وحياة زاخرة تفيض على مظاهر الكون هذا الجمال الإلهي المضيء فإذا الحياة بأسرها بصورة من صور الحق وإذا العالم كله معبد لهذه الحياة.

هكذا يكون الشاعر عند الشابي ذلك الخائر على الأوضاع المتردية الباحث عن الخلق والإبداع والذي يريد الحياة ويحمل على الظلم وليس مجرد خطيب أو متقول كلام وفي ذلك يصفه بأنه: " رسول الحياة لأبنائها الضائعين بين مسالك الدهر وليس خطيبا يتنظلم ما يقول."

لكن الإشكال الذي يظل قائما هو كيف نستعيد روح الشابي وفكره دون السقوط في التصور الموميائي المحنط للشخصيات ودون البقاء حيث بارح موضعه قفيا؟ وكيف نجتمع بين الولاء للوطن دون افراط والوفاء للأمة دون تفریط؟

نبوذة أبي القاسم الشابي

حسن مدن

مَن من العرب لا يحفظ عن ظهر قلب بيتي الشعر الشهيرين في قصيدة الشاعر الكبير أبو القاسم الشابي: «إرادة الحياة»، للذآن يبدآن بالجملة الخالدة: إذا الشعب يوما أراد الحياة، وبالمناسبة فإن هذين البيتين غديا جزءاً من النشيد الوطني التونسي الذي وضع بعد الاستقلال. هل كانت المصادفة وحدها وراء كون أبي القاسم الشابي تونسياً، هل كان يهجس في قصيدته تلك بالوعود التي تنتظر بلاده الرائحة تونس، أم أن كان يبذر نبتة الأمل لا في قلوب التونسيين وحدهم، وإنما في قلوب كل الشعوب بأن إرادة الشعب لا يمكن أن تهزم.

انتفاضة تونس تدفع بتناقش مثل هذا الذي الصدارة، فالواطن العربي الذي رُوض طويلاً على الصبر، لا يخرج إلى الشارع محتجاً إلا تحت ضغط الحاجة القاهرة، حين تعبته السبل عن تأمين لقمة عيشه، ويشعر بأن كافة الأبواب قد سُدّت في وجهه، فلا يجد بداً من أن يخرج مطالباً برغيف الخبز له ولأطفاله.

المواطن لا يخرج إلى الشارع شاهراً قبضته صارخاً باعلى صوته الا حين لا يجد ما يأكله، والا فما الذي يحمل مواطناً بسيطاً مثل الشهيد التونسي محمد الوعزيزي على أن يحرق نفسه احتجاجاً على الجوع والبطالة منذ نحو شهر في مدينة سيدي بوزيد؟

فجذوة الرفض حتى وإن تورى لهيها، تبدو عصبية على الانخفاء، لأن ما في هذا العالم الجائر من مظالم كئيل بإشغال أوارها من جديد، وربما بقوة غير مسبوقه، والاستخفاف بمصالح الناس، وأرزاقيها، والإمعان في الاستحواذ على الثروات، وحرمان مستحقيها منها، لا يمكن أن ينجم عنه الاستقرار والرخاء، اللذان لا يمكن تأمينهما إلا عبر تكريس ثقافة وسلوك المساءلة التي يلزمها الحرية التي تصونها، فيضمن من يقوم بالمساءلة انه سيعود الى بيته سالماً بنام قرير العين.

وفي عالم اليوم فان المساءلة المغصودة لا تتأمن الامن خلال سلطات رقابية مسموعة الكلمة، مثل البرلمانات ذات الصلاحيه ومؤسسات المجتمع المدني الفاعلة والصحافة المستقلة، فلا يمكن النظر إلى الفكر الا بوصفه مضاداً للديمقراطية، فلا يمكن لها من الحريات العامة، على اهمية ذلك، أن يغني عن الديمقراطية الاجتماعية، أي ديمقراطية العدالة في توزيع الثروات.

والسبيل الى ذلك واضح: الإصغاء الى أصوات الناس الموجودة وهي لا تتطالب بأكثر من لقمة عيش كريمة، تأمينها ليس مستحجلاً لو أعيد النظر في الطريقة التي توزع بها الثروات وتدار بها أمور الأوطان.

صاحب البيت الشهير "إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر"، كان شاعراً وجدانياً عريق الإحساس، نادى بتحرير الشعر العربي من صورته النمطية القديمة، والانفتاح على الفكر الخيالي وأشكال التعبير الجديدة.

لوحة من الاحتجاجات العراقية

عن: الاتحاد الاماراتية

الألمعي الطاهر صفر في مدينة طبرقة. وكان اللقاء بينهما مناسبة لكي يتعرف كل واحد منهما على الآخر، ولكي يطيلوا الحديث في مسائل وقضايا سياسية وثقافية. ومن المؤكد أن الطاهر صفر كان معجبا بموهبة الشابي الشعرية، وبارائه في الأدب والثقافة، وإلا لما حرص على الاجتماع به. ومن المؤكد أيضا أن الأفكار التي طرحها الطاهر صفر أثناء ذلك اللقاء في المدينة البحرية الجميلة، أثارت إعجاب الشابي، وفتحت أمامه أفقا جديدة لم يألفها من قبل. فقد كان الطاهر صفر المولود عام ١٩٠٣ بالمهدية، قد درس القانون والآداب والفلسفة والاقتصاد في باريس في العشرينات من القرن الماضي. وكان عارفاً بآداب العرب، القديمة منها بالخصوص. وكان يتميز بثقافة موسوعة تجعله قادراً على الخوض بكل يسر في كل القضايا والمسائل التي تطرح للنقاش. ولعله تحدث أثناء اللقاء المذكور عن كبار الكتاب والشعراء الفرنسيين والغربيين الذين كان مغرماً بهم. ومن المؤكد أن الشابي المعروف بفضوله الشديد لمعرفة ما خفي عنه من آداب أوروبا، استمع إليه بانتباه، وإعجاب. ومن المؤكد أنه طرح عليه أسئلة حول مسائل كانت لا تزال غامضة في ذهنه. فلما انتهى اللقاء، شعر الشابي أنه "يولد من جديد" وأن مفهومه للشعر وللحياة بصفة عامة، بدأ يتغير ويتجدد. وهذا ما ستؤكده القصائد الرائعة التي سوف يكتبها خلال السنة التي سبقت وفاته. ففي هذه القصائد تخلص الشابي عن النغمة الحزينة اليائسة التي طبعت البعض من قصائده السابقة حيث كان يفرّ إلى "الغاب" باحثاً في الطبيعة عما يمكن أن ينسجه عنمة الواقع، ومظالم الحياة، لينحاز إلى فلسفة القوة، والطموح، والأمل، أي لـ "إرادة الحياة" التي قد يكون حدثه عنها



أبو القاسم الشابي.. إرادة الحياة المبكرة

ومن المؤكد أن أبا القاسم الشابي تحمس كثيراً للحركة النقابية التي أنشأها محمد علي الحامي، معتبراً إياها شرارة جديدة بإمكانها أن تلهب النضال الوطني، وتوقظ الضمائر الميته، وتنفض عن الشعب رمال القنوط واليأس. فلما قامت السلطات الاستعمارية بضرب الحركة الوطنية الفتية، مجبرة زعيمها الشاب المنتسب بالأفكار الاشتراكية، أعني محمد علي الحامي على مغادرة البلاد، أطلق الشابي صرخة متوجعة: لست أبكي لعسف ليل طويل أو لربع عدا العفاء مراحه إنما عبرتي لخطب ثقيل قد عزانا، ولم نجد من أراحه كلما قام في البلاد خطيب موقف شعبه يريد صلاحه ألبسوا روحه فقبض اضطهاد فاتك شائك يرذ جماعه أخدموا صوته الإلهي بالعسف أماتوا صدحه ونواحه وفي الرسائل التي يعبث بها إلى صديقه الحميم محمد الحليوي، كان الشابي يظهر تعاطفاً واضحاً مع كل المثقفين والمناضلين من أجل الحرية والعدالة والتجديد، وينتصر لأفكارهم ولواقفهم التي عادة ما تعرّضهم للقمع والسجن ولما ظم أخرى من هذا القبيل. وعندما أصدر الطاهر الحداد كتابه "أمرأتنا في الشريعة والمجتمع" والذي دافع فيه عن حرية المرأة، وعن حقها في العمل والتعليم، هاجمه شيوخ جامعة الزيتونة بعنف وقسوة. أما الشابي فقد انتصّب مدافعاً عنه. وفي الرسالة التي بعث بها إلى محمد الحليوي في شهر أكتوبر ١٩٣٠، وهو ينتقد بشدة موقف شيوخ جامع الزيتونة "المزمتين"، ويعبر عن انتباهه بالحفل الذي أقاله المثقفون التقدميون لمسادة الطاهر الحداد، وثمة حدث آخر، كان له وقع حاسم على مسيرة الشابي الشعرية. فحسب الأستاذ أبو القاسم محمد كزّو، التقى صاحب "أغاني الحياة" في خريف عام ١٩٣٣، بالمناضل الوطني، والمثقف

للإصلاح والتحديث. وفي عام ١٩٠٥ بعث "جمعية قدماء الصادقية" التي اهتمت بتقديم محاضرات باللغة العربية بهدف تثقيف عامة الناس في مجالات مختلفة ومتنوعة. وفي عام ١٩١١، اندلعت "انتفاضة الجاز" التي أعطت دفعا جديداً للحركة الوطنية المناهضة للاستعمار، والتي كانت آنذاك في طور التشكل. وفي عام ١٩١٩، تأسس الحزب الدستوري بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي صاحب كتاب "تونس الشهبدة". وفي عام ١٩٢٤ أنشأ محمد علي الحامي "جامعة عموم العملة التونسيين". وفي مطلع الثلاثينات، أصدر الطاهر الحداد كتابه الشهير "أمرأتنا في الشريعة والمجتمع"، والذي أثار ضجة هائلة في الأوساط الثقافية والسياسية والدينية.

وأعلن في الكون: أن الطموح لهيب الحياة، وروح الظفر إذا طمحت للحياة النفوس فلا بد أن يستجيب القدر ولادة جيل عندما نتحفل بتكري ميلاد أبي القاسم الشابي، فإن هذا لا يعني شيئاً آخر غير الاحتفال بميلاد جيل ما أصبحنا نسميه بـ "جيل إرادة الحياة". ذلك الجيل الذي ولد من العشرينات من القرن المذكور، سوف يخوضون معارك سياسية وفكرية وثقافية كانوا يطمحون من ورائها للنهوض بالمشعب ولايقاظ الوعي الوطني، ولتحسيس الشعب بالحياة" أطفالاً، كانت النخبة التونسية قد أعادت الحياة للأفكار الإصلاحية والتحديثية التي جاء بها خير الدين باشا التونسي. ويفضل الرموز الكبيرة لهذه النخبة من أمثال علي باش حاميّه وعبد العزيز الثعالبي والبشير صفر، والشاذلي خيرالله استعادت الحياة السياسية والثقافية حيويتها، وكثرت النوادي حيث كانت تلقى المحاضرات، وتعدّد الندوات، وعرفت الصحافة اليومية والأسبوعية تطوراً هاماً أتاح لعامة الناس التعرف على أحوال مجتمعهم، وعلى أحوال العالم بصفة عامة. وخلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين شهدت تونس أحداثاً سياسية وثقافية واجتماعية أتاحت للنخبة التونسية التمرّس بالواقع، والإطلاع على أحوال البلاد، ومشاعل مختلف الفئات. ففي خريف عام ١٩٠٣ جاء الشيخ محمد عبده إلى تونس.

وفي زيارته الثانية هذه (الأولى كانت عام ١٨٨٨) التقى بالشيوخ المعاضدين لحركة الإصلاح من أمثال سالم بوحاجب ومحمد النخعي، وفي "الجمعية الخلدونية" التي كان قد أنشأها البشير صفر عام ١٨٩٦، التقى الشيخ محمد عبده محاضرات كان لها الصدى الكبير لدى النخبة التونسية المتطلعة والكلمات.

وإعلان في الكون: أن الطموح لهيب الحياة، وروح الظفر إذا طمحت للحياة النفوس فلا بد أن يستجيب القدر ولادة جيل عندما نتحفل بتكري ميلاد أبي القاسم الشابي، فإن هذا لا يعني شيئاً آخر غير الاحتفال بميلاد جيل ما أصبحنا نسميه بـ "جيل إرادة الحياة". ذلك الجيل الذي ولد من العشرينات من القرن المذكور، سوف يخوضون معارك سياسية وفكرية وثقافية كانوا يطمحون من ورائها للنهوض بالمشعب ولايقاظ الوعي الوطني، ولتحسيس الشعب بالحياة" أطفالاً، كانت النخبة التونسية قد أعادت الحياة للأفكار الإصلاحية والتحديثية التي جاء بها خير الدين باشا التونسي. ويفضل الرموز الكبيرة لهذه النخبة من أمثال علي باش حاميّه وعبد العزيز الثعالبي والبشير صفر، والشاذلي خيرالله استعادت الحياة السياسية والثقافية حيويتها، وكثرت النوادي حيث كانت تلقى المحاضرات، وتعدّد الندوات، وعرفت الصحافة اليومية والأسبوعية تطوراً هاماً أتاح لعامة الناس التعرف على أحوال مجتمعهم، وعلى أحوال العالم بصفة عامة. وخلال العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين شهدت تونس أحداثاً سياسية وثقافية واجتماعية أتاحت للنخبة التونسية التمرّس بالواقع، والإطلاع على أحوال البلاد، ومشاعل مختلف الفئات. ففي خريف عام ١٩٠٣ جاء الشيخ محمد عبده إلى تونس.

يقول الكاتب الفرنسي جان جيروود بأن الاحتفال بمئوية رجل عظيم يمكن اعتباره احتفالاً بوحدة من ولاداتنا. والاحتفال بمرور مائة عام على ميلاد شاعرنا الأكبر أبي القاسم الشابي هو في حقيقة الأمر والواقع احتفال بولادات متعددة. أولها ولادة الشعر في تونس. فقبل الشابي، لم يكن هناك شعر في بلادنا بالمعنى الحقيقي والمعيق للكلمة. وكان الذين يسمون أنفسهم "شعراء" أو تطلق عليهم هذه الصفة، يبرزون غالب الأحيان في المناسبات العامة، دينية كانت أم غير دينية. وفي جل قصائد صاحب "أغاني الحياة" تحضر نفس الشاعر في جميع تجلياتها، وتحضر تونس بوأحائها، وجبالها، ووديانها وغاباتها وألمها، وتكباتها. ونحن لا نجد بين الذين سبقوا الشابي، أو عاصروه أو حتى عند الذين جاؤوا من بعده، شاعراً تغنى بتونس مثلما تغنى بها هو. فقد كانت تسكنه مثل الجمره الملتهية، ومتمخلاً بين مختلف مناطقها منذ سنوات الطفولة الأولى، كان يخرّجن مشاهدتها في ذاكرته ليعيد تشكيلها فيما بعد في أشعاره بشكل أسر، ففي سن السادسة عشرة، كتب قصيدته البديعة "تونس الجميلة" والتي فيها يقول: أنا يا تونس الجميلة في ليح الهوى قد سبحت أي سباحة شرعتي حبك العميق واني قد تتوّقت مره وقرأحه لست أنصاع للواحي ولو متّ قامت على شيايبي المناحة لا أبالي.. وإن أريقت دمائي فدماه العناق دواما مباحة ومع الشابي ولد الشاعر، "المنفرد بنفسه" بحسب تعبير جان جاك روسو. ذلك الشاعر الذي انطلق من ذاته، يكتب قصائده في مختلف الأغراض من دون أن يكون خاضعاً لأي سلطة. هدفه الوحيد هو إرضاء نفسه. لذا هو لا يستجيب إلا لملاحظه الأدبية تلك التي تنمو بالكلمة عالياً، وتبيح للخيال أن يخلق بعيداً. وفي جميع رسائله إلى صديقه

حسن مديني

عن: المصباحي



manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

محررين

محررين

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني

حيدر الكواز



طبعت بمطابع مؤسسة المدى



للاعلام والثقافة والفنون

مئة وعشر سنوات من "إرادة الحياة"

الأوروبي اعتماداً على بعض الترجمات. حصل الشابى عام ١٩٢٧ على شهادة ختم الدروس الثانوية من جامع الزيتونة أرفع الشهادات الممنوحة في ذلك الوقت ثم التحق بمدرسة الحقوق التونسية وتخرج فيها عام ١٩٣٠.

المسار الأدبي

كان تعليم أبو القاسم متركزاً بالأساس على اللغة العربية، لكن فكره كان مفتوحاً على الثقافات الأخرى فراح يطالع الأدب الأوروبي، والأميركي. وفي شباط ١٩٢٩ ألقى الشابى أول محاضرة في حياته الأدبية في مكتبة الخلدونية عن "الخيال الشعري عند العرب" مستعرضاً كل إنتاج العرب من الشعر في مختلف الأزمنة وفي كل البلدان، وقد أصبح بعدها كاتب مجلس جمعية الشبان المسلمين حديثة النشأة. عشق الجلوس بين كبار الأدباء التونسيين لما كان تلميذاً في جامع الزيتونة، ارتاد بكثرة النادي الأدبي للاستماع إلى المحاضرات ومجلس الشعر ومنتديات الفكر.

نادى بتحرير الشعر العربي من كل رواسب القديم، والافتداء بأعلام الغرب في الفكر والخيال ووجه نقداً خاداً خلال محاضراته تجاه عقلية الجمود الراسخة في أنفاس بعض رجال الثقافة والسياسة الذين يرفضون الانفتاح وتطوير الشعر والأدب والإبداع. أشارت محاضراته ربود فعل منتقدة له لدرجة دعوة بعض المحافظين لمقاطعته، الأمر الذي حزن في نفسه، وهو ما ترجمه في بعض أشعاره، وقد زاد وضعه النفسي سوءاً بعد وفاة والده ورحيل محبوبته.

تنوعت قصائده، وكان أبرزها في الطبيعة والغزل والوطنيات، وقد اتخذ من مجلة "أبولو" بالفاخرة منيرا، ونشر فيها عدداً من قصائده، الأمر الذي جعل رئيس تحريرها الشاعر أحمد زكي أبو شادي يطلب منه أن يكتب مقدمة ديوانه "البنوع". رغم شهرته في ميدان الأدب العربي الحديث، فإنه لاقى الكثير من الرفض والنفور من جانب الأدباء المحافظين في تونس.

كان الشابى من الشعراء الذين تغنوا بالمستقبل وأمنوا بالتجديد، ورفضوا الجمود والتقليد وسكبوا ذاتهم في واقعهم الاجتماعي، فتغنى بالحياة والفن والوطن والطبيعة والثورة وإرادة الحياة.

وتعد قصيدة "لحن الحياة" من أشهر قصائد الشابى، وقد تضمنت البيت الشعري الشهير "إذا الشعب يوماً أراد الحياة... فلا بد أن يستجيب القدر"، وهو البيت الذي كان الشاعر الأبرز الذي رفعه الشباب الغاضب إبان ثورات الربيع العربي.

المؤلفات

من أشهر أعماله ديوان أغاني الحياة، والخيال الشعري عند العرب، وقد كتب جزءاً من مذكراته، وله مقالات أدبية وأشعار متنوعة نشرها في مجلة "أبولو" المصرية التي كانت باب شهرته إلى العالم العربي.

الوفاة

توفي أبو القاسم الشابى -وهو في ٢٥ من العمر- يوم ٩ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٣٤ بمستشفى الحبيب ثامر بالعاصمة تونس (المستشفى الإيطالي سابقاً) بعد صراع طويل مع مرض القلب، وحزن عميق على موت والده.

الأزهر، وأصبح قاضياً.

رافق أبو القاسم والده لما كان طفلاً في جميع تنقلاته بين المدن التونسية التي عمل بها، ما أكسبه معرفة بالكثير من المناطق وخلق لديه حبا كبيراً بجمال الأماكن التي زارها.

الدراسة والتكوين

تلقى تعليمه الابتدائي باللغة العربية دون غيرها في الكتاتيب القرآنية في مدينة قابس (جنوب)، وكانت له ذكوة قوية مكنته من حفظ القرآن وهو في التاسعة، وبدأ يتعلم أصول العربية والدين على يد والده إلى أن أرسله عام ١٩٢٠ إلى العاصمة، وهو في الثانية عشرة لمتابعة الدراسة الثانوية في جامع الزيتونة.

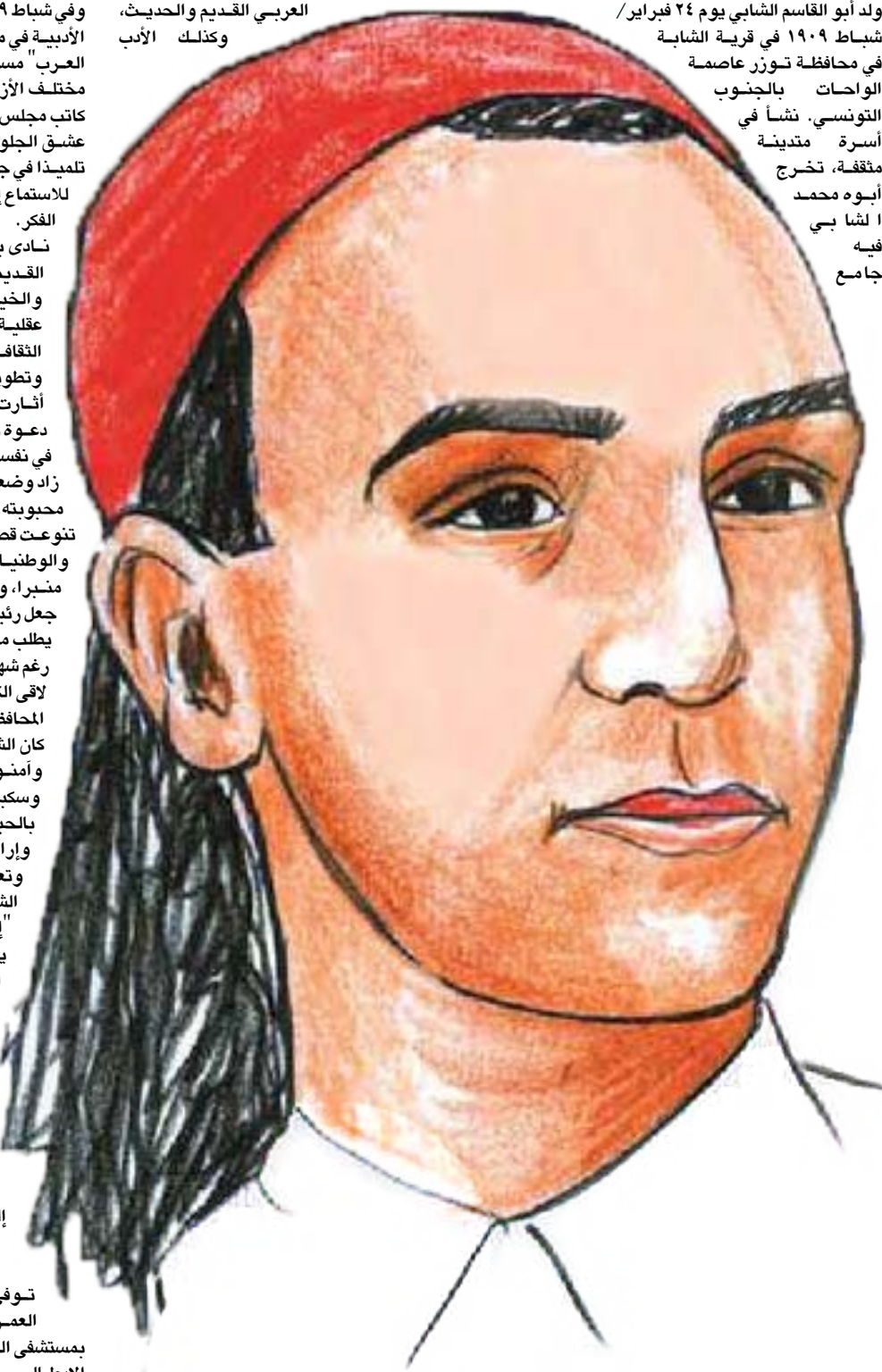
لم يكتف بالدروس التي كانت تلقى في الجامع، فأكثر من المطالعة لتوسيع معارفه، وكان يرتاد مكتبي قديما الصادقية والخلدونية لينهل من الأدب العربي القديم والحديث، وكذلك الأدب

اعداد: منارات

لم يحظ شاعر تونسي وربما عربي بما ناله أبو القاسم الشابى من اهتمام الدارسين والنقاد الذين ذهبوا إلى مقاربات قد لا تنطبق على منجزه أو لم يتقصدوا، لكن رمزية صاحب "إرادة الحياة" ترتبط بلحظة بعينها أصبحت هي محل فحص ومساءلة.

المولد والنشأة

ولد أبو القاسم الشابى يوم ٢٤ فبراير/ شباط ١٩٠٩ في قرية الشابية في محافظة توزر عاصمة الواحات بالجنوب التونسي. نشأ في أسرة متدينة متفكدة، تخرج أبوه محمد الشابى فيه جامع



الذي لم يكن يقرأ بأي لغة أجنبية - على قراءة الشعر الرومانسي الغربي والقرات الشعري عند الأريق والرومان والتعرف على أساطير الشعوب الأخرى. منذ الخامس من آب ١٩٢٥ تعذر على أول قصيدة نثرية كتبها الشابى بعنوان "بقايا الشفق"، لتتوالى بعدها خمس عشرة قصيدة من النمط نفسه أخرجها "الذكرى". جميع هذه القصائد تنقسم بلغة موعلة في رومانيتها الصافية وتشابهاً موضوعاتها كأنها نص واحد ممدد على مقاطع. يمكن تفسير لغة الشابى الرومانسية بواقعة تعرفه عبر صديقين أديبين، منهم الحلوي، يجيدان اللغة الفرنسية على شعراء فرنسا الرومانسيين، وعلى رأسهم "لامرتين". إن تأثير الشابى بالأدب المجهري، خاصة جبران خليل جبران وإيليا أبو ماضي، وشعراء مثل لامرتين وغوته يقع التخفيف منه في الكتابات النقدية ونوعية الحالية، مظلماً يقع التخفيف من تأثير راند آخر من رواد قصيدة النثر في العراق، رفائيل بطي (١٨٩٨-١٩٥٤) بالشعر المجهري نفسه، خاصة بأمين الريحاني (سوى من بين آخرين د. يوسف عز الدين الذي يلخ عن حق على ذلك). مجموعة بطي (الربيعيات) طبعت سنة ١٩٢٥، وهي تشتمل على أربع عشرة قصيدة في مائة صفحة من القطع الصغير، وقصائدها مثيلة بتواريخ تعود إلى الأعوام ١٩٢٠-١٩٢٥ وكانت المجموعة من منشورات مجلة (الحرية) التي كان بطي نفسه يرأس تحريرها. إذا ما استيق بطي أبا القاسم الشابى في تلقف الشعر المنثور بأربع أو خمس سنوات فذلك راجع، في الغالب إلى فارق السن الطفيف بينهما، وإلى اختلاف المناخ الثقافي السائد في الوسطين العراقي والتونسي لحظتها. استبق رفائيل بطي أيضاً معروف الرصافي (تلامس مع الشعر المنثور عام ١٩٢٢) ومراد ميخائيل (تلامس مع قصيدة النثر عام ١٩٢٧) في كتابة هذا النوع الجديد من الشعر، وبايمان عميق، لا أظنه تراجع عنه. بدوره تأثر الريحاني في ديوانه (هتاف الأوبية) سنة ١٩١٠ بوالث وايمان كما تعرف، وكان توجيهه للشعر المنثور قد وجد أصداء كبيرة في جميع أقطار العالم العربي، في لبنان ومصر والعراق، وعلينا الآن إضافة تونس. وهي أقاليم ثقافية كانت تمتلك نوعاً من الوحدة المعرفية التي انحسرت كثيراً منذ انحصار الاستعمار وتأسيس الدول العربية التي كان من نتائجها كليهما الانغلاق على الذات المحلية والتشديد على ريبادات منفصلة في هذا الحقل الإبداعي آنذاك. وإذا ما عدنا إلى أجواء الانفتاح الثقافي الطبيعي بين أقطار العالم العربي سنوات العشرينيات لرأينا أن قناعة رفائيل بطي بالشعر المنثور تماثل قليلاً قناعة الشابى لأنهما مُستلهمين من مصادر واحدة متماثلة، وأصله للإقليمين بطرق متعددة، مباشرة أو غير مباشرة، أخذين السياق المحلي بنظر الاعتبار. بل يمكن أن يُعتبر السياق الثقافي التونسي الأكثر جموداً من مثيله العراقي تلك السنوات في صالح الشاعر التونسي. تعرض الشاعران كليهما لتدعيم من الوسط الشعري الذي هيمنت عليه التقليدية وتقديس الماضي الشعري وثبات المعايير. كلاهما كان يمضي قدماً في تصوراته التحديدية، وكلاهما لم ينحز للعصافة، فقد كتب بطي ضد الأكلروسية المسيحية، وقد وقف الشابى، وهو ابن شيخ تخرج من الأزهر، ضد الجمود العقلي. كلاهما شغف جبران: الأول معترفاً صراحاً بذلك والشاني بالقليل من التصريح. على أن أهم ما أنجزه الشابى من قصائد لم يكن من الشعر المنثور بل من الشعر الموزون، بينما تخلى بطي عن كتابة الشعر لمصالح مشروع معرفي بقدي والكتابة السياسية والتاريخية. لم تدرس بعد مرجعيات كتاب الشابى (الخيال الشعري عند العرب)، وهي قد اتفقت مرة بشدة، ومحدث مرة أخرى بإفراط.



شاكر لعيبي

ولم يكن محض (خاطر) أدبية كما قد يقول البعض. فهو يكتب في رسالة مؤرخة بالأول من آب ١٩٢٩ إلى صديقه محمد الحلوي يقول عن أجدهم إنه تولى إدارة تحرير مجلة وإنه: "تسلم مني قطعة من الشعر المنثور عنوانها الشاعر تحت عنوان أكبر أود أن أكتب تحته موضوع مختلفة...". كان الشابى إذن واعياً أن ما يكتبه هو نص يقف على تخوم الفنون الشعرية والنثري، هذه القضية التي تعتبرها شرطاً من الشروط الأساسية للأقتراب من القصيدة النثرية متوفرة في حالة الشابى. والحليوي أديب قيرواني ساعد الشابى -

وسيعتبره رائداً آخر من رواد ما نسميه اليوم بـ "قصيدة النثر". وإذا ما بدأ الشابى في قصائده الأولى المؤرخ لها بعام ١٩٢٣ تقليدياً في معجمه وموضوعاته وموقفه من العالم، فإن تحولاً قد مس شعره بعد عامين تقريباً بفضل قرأته وتمثله للشعر المجهري اللبناني الموسوم، بشكل عام، بروح رومانسية يستجلب عذاب الوجود الغامض وحزن الذات الدافق مجهول المصدر. في عام ١٩٢٥ سينحو الشابى منحى آخر، قد تكون قصائده النثرية لحظة من لحظاته النثوية. لم يخرج الشعر المنثور الذي كتبه الشابى بالمصادفة السعيدة،

رفائيل بطي وأبو القاسم الشابى

في النصف الأول من السبعينيات كان التوتر بين الرئيس الراحل أنور السادات وجماهير الطلاب والمثقفين والصحفيين وأقسام كثيرة من المواطنين، يتصاعد عاماً بعد آخر، بسبب الخلاف حول قضايا عديدة كان من بينها: تحرير الأرض المحتلة وتوسيع نطاق الديمقراطية والحفاظ على ما كان يصطلح على تسميته - آنذاك - بالمكاسب الاجتماعية لثورة يوليو.

هلا - بالكتاب

معرض العراق الدولي للكتاب

Iraq International Book Fair

دورة مظفر النواب

على ارض معرض بغداد الدولي قريبا



إرادة الحياة

ابو القاسم الشابي

وتَهْوِي العُصُونُ وَأورَاقُهَا وَأزْهَارُ عَهْدِ حَبِيبِ نَضْرٍ
وتَلْهُو بِهَا الرِّيحُ فِي كُلِّ وادٍ وَيَدْفُنُهَا السَّيْلُ أَنَّى عَبرِ
وَيَفْنِي الجَمِيعَ كَحَلْمٍ يَدِيعُ تَأَلَّقَ فِي مُهْجَةٍ وَأندَثِرُ
وَتَبْقَى البُذُورُ التي حُمِلَتْ نَخيْرَةَ عُمُرٍ جَمِيلِ عَبرِ
وَدَكرِي فُصولٍ ، ورُؤْيَا حَيَاةٍ وَأشْبَاحَ دُنْيَا تَلاشَتْ زَمَرَ
مُعَانِقَةً وَهِيَ تَحْتَ الضَّبَابِ وَتَحْتَ الثَّلُوجِ وَتَحْتَ المَدَرِ
لَطِيفِ الحَيَاةِ الذي لا يُمَلُّ وَقَلْبِ الرِّبِيعِ الشَّدِيهِ الخَضِرِ
وَحَالِمَةَ بَأغَانِي الطُّيُورِ وَعَطرِ الزُّهُورِ وَطَعْمِ التَّمَرِ
وَمَا هُوَ إِلَّا كَخَفَقِ الجَنَاحِ حَتَّى نَمَا شَوْقُهَا وَأنتَصَرَ
فصدَعَتْ الأَرْضَ من فَوْقِهَا وَأبصرتِ الكونَ عذبَ الصُورِ
وجاءَ الرِّبِيعُ بأَنغامِهِ وَأحلامِهِ وصِباهُ العَطرِ
وقبَلْهَا قَبلاً فِي الشِّفاةِ تَعِيدُ الشَّبَابَ الذي قد عَبرِ
وقالَ لَهَا : قد مُنحتِ الحَيَاةَ وَخَلدتِ فِي نَسلكِ المُنْخَرِ
وَباركِ النُورِ فاستقبلي شَبَابَ الحَيَاةِ وَخَصِبِ العُمُرِ
ومن تَعَبُدِ النُورِ أَحلامَهُ يبارِكُهُ النُورُ أَنَّى ظَهَرَ
إليكِ الفِضَاءُ ، إِيكَ الضِّيَاءِ إِيكَ الثَّرَى الحَالِمِ المَزْدَهَرَ
إِيكَ الجَمالِ الذي لا يَبِيدُ إِيكَ الوجودِ الرَحيبِ النَضْرِ
فمِدي كما شئتِ فِوقِ الحَقولِ بِحلوِ الثَمارِ وَغُضِّ الزَهْرِ
وَناجي النَسِيمِ وَناجِي الغيومِ وَناجِي النُجومِ وَناجِي القَمَرِ
وَناجي الحَيَاةِ وَأشواقِها وَفتنَةِ هَذَا الوجودِ الأغرِ
وَشَفِّ الدَجى عَن جَمالِ عَميقِ يَشِبُّ الخيَالِ وَيذكي الفِكرِ
وَمُدَّ عَلى الكونِ سِحرَ غَريبٍ يُصِرِّفُهُ سَاحِرُ
مُقتَدِرِ وَضَاعَتِ شُمُوعِ النُجومِ الوُضَاءِ وَضَاعِ البُحُورِ ، بِخُورِ الزَهْرِ
وَرَفْرِفِ رُوحِ غَريبِ الجَمالِ بِأَجَنِحَتِهِ مِنَ ضِيَاءِ القَمَرِ
وَرَنِّ نَشِيدِ الحَيَاةِ المَقْدَسِ فِي هَيْكَلِ حَالِمٍ قَد سَحرِ
وَأَعلَنَ فِي الكونِ أَنَّ الطَّمُوحَ لَهيبِ الحَيَاةِ وَرُوحِ الطَّفَرِ
إِذَا طَمَحَتِ لِلحَيَاةِ النُّفُوسُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ القَدَرُ

إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الحَيَاةَ فَلَا بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ القَدَرُ
وَلَا بُدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنجَلِيَ وَلَا بُدَّ لِلقَيدِ أَنْ يَنكَسِرَ
وَمَنْ لَمْ يَعبانِقَهُ شَوْقُ الحَيَاةِ تَبَخَّرَ فِي جَوْهَا وَأندَثِرُ
فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشقَّهُ الحَيَاةُ مِنْ صَفْعَةِ العَدَمِ المُنْتَصِرِ
كَذَلِكَ قالَتْ لِي الكائِناتُ وَحدَّثني رُوحُها المُستَترِ
وَدَمَدَمَتِ الرِّيحُ بَيْنَ الفِجَاجِ وَفَوقِ الجِبَالِ وَتَحْتَ الشَّجَرِ
إِذَا مَا طَمَحَتِ إِلى عَايَةِ رَكِبَتْ المُنَى وَنَسِيتِ الحَذَرَ
وَلَمْ أَتَجَنَّبْ وَعُورَ الشَّعَابِ وَلَا كَبَةَ اللَّهَبِ المُستَعرِ
وَمَنْ لا يَحبُّ صُعودَ الجِبَالِ يَعبُشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحَفَرِ
فَعَجَّتْ بِقَلْبِي دِماءُ الشَّبَابِ وَضَجَّتْ بِصَدْرِي رِياحُ أُخَرَ
وَأطَرقتُ ، أَصغِي لِقَصفِ الرُّعودِ وَعَزْفِ الرِّياحِ وَوَقَعَ المَطَرُ
وَقالَتْ لِي الأَرْضُ - ما سَأَلتُ : "أَيَا أُمِّ هَلْ تَكرهينَ البَشَرَ؟"
"أُبارِكُ فِي النَاسِ أَهلِ الطَّمُوحِ وَمَنْ يَسْتَلذُّ رُكُوبَ الحَظَرِ
وَأَلَعُنُ مَنْ لا يَمَاشِي الزَمَانَ وَيَفنَعُ بِالعَيشِ عَيشَ الحَجَرِ
هُوَ الكونُ حَيٌّ ، يَحبُّ الحَيَاةَ وَيَحْتَقِرُ المِيتَ مَهْمَا كَبَرَ
فَلا الأُفقُ يَحْضُنُ مِيتَ الطُّيُورِ وَلَا النَحْلُ يَلْتَمُ مِيتَ الزَهْرِ
وَلولا أُمُومَةُ قَلْبِي الرُّؤُومُ ما ضَمَّتِ المِيتَ تَلَكِ الحَفَرِ
فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشقَّهُ الحَيَاةُ مِنْ لَعنَةِ العَدَمِ المُنْتَصِرِ!"
وَفِي لَيلَةٍ مِنَ لَياليِ الخَريفِ مُنقَلَبَةٍ بِالأَسَى وَالضَّجَرِ
سَكَرْتُ بِها مِنْ ضِياءِ النُجومِ وَغَنِيَّتِ لِلحُزَنِ حَتَّى سَكَرِ
سَأَلتِ الدَجى : هَلْ تُعيدُ الحَيَاةَ ما أَذْبَلتَهُ رِبيعُ العُمُرِ؟
فَلَمَّ تَنكَلَمُ شِفاهُ الظُّلامِ وَلَمَّ تَتَرنَّمْ عَذارِي السَّحَرِ
وَقالَ لِي الغابُ فِي رِقَّةٍ مُحَبَّبَةٍ مِثْلَ حَفَقِ الوُتَرِ
يَجِيءُ الشِّتَاءُ ، شِتاُ الضَّبَابِ شِتاُ الثَّلُوجِ ، شِتاُ المَطَرِ
فَيَنطَفِئُ السَّحَرُ ، سِحرُ العُصُونِ وَسِحرُ الزُّهُورِ وَسِحرُ التَّمَرِ
وَسِحرُ المَساءِ الشَّجِيِّ الوَدِيعِ وَسِحرُ المُرُوجِ الشَّهِيِّ العَطرِ